13 me Année No. 619

Lundi - 12 - 5 - 1945

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الأشتراك عن سنة
٨٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٦١٩ « القاهرة فى يوم الإثنين ٣٠ جمادى الأولى سنة ١٣٦٤ — ١٤ مايو سنة ١٩٤٥ » السنة الثالثة عشرة

التربية السياســـية

للأستاذ عباس محمود العقاد

أحسنتم فى كلمتكم التى شيعتم بها عهد الدكتاتورين هتلر وموسلينى ، وأشرتم إلى موضع العجب العاجب من أمر الأمة الألمانية التى يستطيع رجل كسائر الرجال ... « فيه الخطل والجهل والعجز والهوى ، وليس فيه إيمان لوثر ، ولا سياسة بسمارك ، ولا أدب جوته ، ولا فلسفة نيتشه ، أن يسيطر على ستين مليوناً من الجنس الأوربى الممتاز ، وأن يسخرهم اثنى عشر عاماً فى ابتكار أفظع ما يتصور الذهن الجبار المجرم من وسائل الفتك وآلات الدمار »

والحق أن أعجوبة الأعاجيب فى هذه الأمة الألمانية أنها على وفرة نوابغها وشيوع التعليم بين طبقاتها وازدهار المعارف والصناعات فيها ، لا تزال تستسلم لطاغية بعد طاغية سواء من عواهلها أو من الغاصبين بالحكم فيها ، ثم تمضى معهم فى مخاطرة بعد مخاطرة من أيسر شرورها هزيمتهم وامتلاء الأرض كلها بالويل والبلاء بضع سنوات

ولكنها عبرة من عبر التاريخ الكبرى تساق إلينا نحن الشرقيين خاصة لنعلم هوان المعارف والصناعات ووفرة النوابغ وكثرة المتعلمين إلى جانب التربية السياسية التى تتوارثها الأمة جيلا بعد جيل فى ظل الحرية والمعاونة البصيرة بين الزعاة والرعية

فالأمة الألمانية قد استوفت كل مزية من مزايا العلم والصناعة والنبوغ إلا هذه المزية التى لا غنى عنها ، وهى مزية التربية السياسية

وأولى خصائص هذه المزية هى الاستقلال بالرأى فى محاسبة الحكام ، أو هى اشتراك الجميع فى الحكم ببداهة المعاونة التى تنشأ من طول المرانة وكثرة المراس

فالأمة الإنجليزية مثلا قد نشأت فى جزيرة يحوطها البحر ، فاستغنى ملوكها عن الجيوش القائمة الكبيرة التى يدفع بها الملك خطر العدوان من جيرانه ، وأمن رؤساء العشائر أن يسومهم الملك مثابة لا مراجعة فيها ولا مشاورة ، لأنهم كانوا جميعاً فى عشائرهم بمثابة الملوك الصغار ، وكان لهم من الجند والأتباع ما يستعينون به على مكافحة العسف والطغيان كلما تجاوزا حدود المصلحة الكبرى التى يرتضونها أجمعين

وكان الإنجليز أمة تجار وبحارة ينفردون بأنفسهم فى لجج البحار . فتعلموا من التجارة مساومة الآخرين ، وأن الأمر لا يؤخذ فى الدنيا بالغصب والإكراه ، وتعلموا من البحر كيف

ينفردون بمكافحة الأخطار ، وكيف يستقلون بآرائهم فى مداورة الصعوبات

وجيل بعد جيل بعد ثالث بعد رابع على هذه الوتيرة كفيلة بتربية الاستقلال والخبرة بمداولة الشؤون وإقامة الحدود المعقولة بين الحاكم والمحكوم

لكن الألمان على نقيض ذلك ، قد شاء لهم سوء الحظ أن يقيموا فى الرقعة الوسطى من القارة الأوربية ، وكانوا فى حاجة دائمة إلى الطاعة العسكرية ، لأنهم يغيرون على جيرانهم ويغير جيرانهم عليهم فى كل حين ، ولم يزالوا على ذلك عرضة لسطوات الأقوياء كلما ظهروا من حولهم فى الشرق أو الغرب أو الجنوب أو الشمال . فمن ظهر فى الشرق أخذهم فى طريقه غرباً إلى حيث يريد الفتح أو القتال ، ومن ظهر فى الغرب أخذهم فى طريقه شرقاً كما يشاء وحين يشاء ، وكذلك كان يصنع بهم من يمتد بسلطانه من الجنوب إلى الشمال ، أو يمتد به من الشمال إلى الجنوب

وكانوا من قديم عصورهم قبائل متفرقات تعمل فى الرعى والقنص والزراعة ، فعاشوا عيشة القبائل الأولى وهى عيشة طاعة وتسليم ، وجاءتهم النظم العسكرية التى لا فكاك منها ، فزادتهم طاعة على طاعة وتسليما على تسليم

وقد تعددت ولاياتهم حتى زادت على ثلثمائة فى نهاية القرون الوسطى ، ولم تنقص هذه الولايات عن مائة وسبعين فى أيام الثورة الفرنسية ، ثم تجمعت بعض التجمع فى زعامة ولاية من أكبرها فى العدة العسكرية ، ولكنها من أقلها نصيباً فى الثقافة والأخلاق الاجتماعية ، وهى بروسيا التى عرفت فى تاريخها بأنها آخر القبائل الجرمانية حضارة وأقلها دماثة وأدباً ، فطبعتهم من جديد بطابع الإذعان الذى لا يعرف المراجعة ولا يؤمن بتعدد الآراء

وقد ثار الألمان على الكنيسة أو على البابوية ، ولكنهم لم يثوروا قط على طغيان الحكومات وعسف القادة ، وإنما ثاروا على البابوية لأنهم كانوا فى طاعة القادة والحكومات

قلنا فى كتاب تذكار جيتى الذى ظهر منذ بضع عشرة سنة : « ... يجب أن نذكر كذلك فى هذا الصدد أن مبادئ الديمقراطية حين وصلت إلى ألمانيا كانت مبادئ عدوها المغير عليها المذل لكبريائها : كانت مبادئ الجيش الفرنسى والدولة الفرنسية . فليس بعجيب أن يتلقاها فلاسفة الألمان بشىء من الفتور والإعراض ، وأن تجنح بهم الوطنية إلى إنكار الديمقراطية فى إبان المنافسة والملاحاة بين الشعبين ... على أن السبب الذى يتصل بجميع هذه الأسباب ويكاد يدرجها كلها فى أطوائه هو حرب الثلاثين المشهورة ، فإن هذه الحرب الطحون قد دمرت ألمانيا فى الشمال والجنوب تدميراً ، وعطلت البحث والأدب فيها جيلين متواليين ، ورزحت استقلال الفكر فيها خلال القرن السابع عشر الذى نشطت فيه دعوة الفكر الحر فى الأمم الأوربية الكبرى »

من هذه العوامل التى فصلنا بعضها فى « تذكار جيتى » وبعضها فى كتاب « هتلر فى الميزان » أصيبت الأمة الألمانية بتلك الآفة الجائحة وهى نقص « التربية السياسية » وكان بعضها من صنع يديها وبعضها من صنع الحوادث والملابسات .

لا جرم يطيع الألمان حكامهم تلك الطاعة العمياء ويعتقدون فيهم كما يعتقد الأطفال فى آبائهم « إن أبانا لعلى كل شىء قدير » .

وقد خدعهم فى هتلر — فوق خداع التربية السياسية الناقصة — أنه نجح فى ضم السار والرين والنمسا وبلاد السوديت بغير قتال ، فخيل إليهم أنه يلعب بأوربا وبالعالم وأنه يملك من قوة الدهاء وقوة السيف ما يخضع له أوربا إذا خالفته ويخضع له العالم كله إذا وقف فى طريقه .

وذلك هو الضلال الأكبر فى القياس والتفكير .

لأن مصطفى كمالاً — كما قلنا فى كتاب هتلر فى الميزان — « لم ينفق جزءاً من ألف من ربوات الملايين التى أنفقها هتلر على التسليح ، واستطاع مع ذلك أن يفتح الآستانة فتحاً ثانياً وفيها جيوش الحلفاء ، وأن يعيد إليها الحصون التى منعت إقامتها بعد هزيمة الحرب العظمى ، وأن يلغى الامتيازات الأجنبية والمعاهدات التى سبقت ألمانيا الحديثة ونشأت من أيام سليمان الكبير » ... ولم ينجح مصطفى كمال ولا هتلر فيما صنعاه لأنهما أقوى من الدول التى كانت تأبى ما صنعاه ، وإنما سر المسألة كله صعوبة الإقدام

على حرب عالمية سواء كان المقدم عليها من الحكام الدستوريين أو من الحكام المستبدين ، فالذى صنعه هتلر إذن هو أنه غير هذه الحالة بسياسته الحرقاء وجعل الصعب سهلاً على الدول فى مدى ثلاث سنوات ، وما ثلاث سنوات فى تواريخ الأمم وحوادث الدنيا ؟ ... »

نعم هذا هو الضلال الذى طير صواب هتلر فطار معه صواب الألمانيين ، لأنهم لا ينظرون إلا كما ينظر القادة والزعماء فى أصغر الهنات وأخطر الأمور .

***

لقد عصفت التربية السياسة الناقصة بكل فضيلة من فضائل هذه الأمة الألمانية ، وحرمتها ملكة الابتداع حتى فى العلم والصناعة . فاشتهر الألمان بأنهم محسنون مكملون لما يخترعه الآخرون ولم يشتهروا بأنهم مخترعون مبدعون . وتبين ذلك فى الطيارات والدبابات التى هى عدتهم فى مقاومة الأساطيل البحرية ، فإنهم كانوا يشتغلون بالمناطيد يوم كان العالم كله يشتغل بالطيارات على اختلافها ، ولما التفتت الأمم إلى الطيارات واستخدامها فى الحرب كرة أخرى كانت طيارات الألمان دون غيرها فى الصناعة والقيادة والتأثير .

ولقد شاع بين الشرقيين كما شاع بين غيرهم أن هؤلاء الألمان يحسنون ما لم يحسنه سائر الأوربيين ، لأنهم يصنعون الأدوية والمواد الكيمية التى تنقطع عن العالم بانقطاع مواصلاتهم فلا تعوضها الأدوية من سائر البلدان .

وهو وهم فارغ كان يسهل علينا نحن المصريين أن ندرك حقيقته إذا التفتنا إلى ما يجرى فى بلادنا ونصنعه بأيدينا . فنحن نستورد القمح والدقيق وبلادنا تستورد القمح وتطحن الدقيق ، وإنما نفعل ذلك لأن زراعة القطن أنفع لنا ـ أو كانت أنفع لنا ـ من زراعة الحبوب ... فليس فى الأمر عجز ولا قصور .

وكذلك الألمان والصناعات الكيمية فى القرنين الماضيين ، فإن علم الكيمياء الحديث قد راج فى أوربا يوم كانت البلاد الإنجليزية والبلاد الفرنسية ذوات مصانع ومنشآت تدار على نسيج الصوف والقطن وعلى مصنوعات المعادن والأخشاب ، فلم يكن معقولاً أن تلغى هذه المصانع والمنشآت وأن تحل الشركات التى تديرها لتعود إلى إدارتها على الأدوية والكيميات ، وإنما كان المعقول أن تترك هذه الصناعة لألمانيا كما تركت صناعة الألبان للدنمرك مع وفرة الألبان فى المراعى الإنجليزية والفرنسية . وما اضطرت أمم أوربا وأمريكا قط إلى استخراج مادة كيمية إلا أتقنتها كما يتقنها الألمان أو فوق إتقان الألمان .

فالنقص فى التربية السياسية هو علة النقص فى استقلال الرأى حيث كان ، ولو تجاوز مجال الحكم والشورى إلى مجال الرأى والابتداع .

والنقص فى التربية السياسية هو الذى ضيع على هتلر وأتباعه كل ما استكملوه من العدة الحربية ، فليكن لنا فى ذلك عبرة نحن أبناء الشرق المترددين بين المذاهب والآراء . فلا نعدل بالحرية بديلاً من الخيرات التى يقال إنها تنوب فى عهود الطغيان عن الحرية والاستقلال .

عباس محمود العقاد

ظهرت الطبعة الثانية من :

فلسفة الأخلاق فى الاسلام

وصلاتها بالفلسفة الأغريقية

للأستاذ محمد يوسف موسى

الكتاب الأول فى فلسفة الأخلاق المقارنة ، فكان حدثاً ملحوظاً فى الإنتاج الفلسفى المعاصر ، وفيه الرأى الحق الصريح فى فلسفة الغزالى وابن عربى وغيرهما من مفكرى الإسلام .

الثمن ٢٥ قرشاً والبريد ٥٣ مليما

الناشر

دار الكتب الأهلية

ميدان الأوبرا بمصر تليفون ٤٩٥٦٤